المسوحات الاثارية في وادي اليابس
دراسة اثنواركولوجية

المدرس الدكتور كاظم عبد الله عطية*

تاريخ قبول النشر ٢٠٠٦/١/٢٥

الخلاصة:

يقع وادي اليابس إلى الشمال من الأردن حيث يمتد من جبال عجلون إلى نهر الأردن حيث تبلغ مساحة الوادي ١٨٦ كم٢ ويبلغ أعلى ارتفاع له حوالي ١٢٠٠ م فوق مستوى سطح البحر واقل انخفاض له يصل إلى ٣٠٠ م تحت مستوى سطح البحر تكمن الدراسة لإظهار الأهمية التاريخية ولدراسة المتغيرات والتعديلات البيئية والسكانية التي حدثت في مختلف العصور بدأ بالعصور الحجرية القديمة وحتى العصور المتأخرة مع فهم الظروف البيئية والسياسية والاقتصادية التي يمكن ان تؤثر أو تحدد السلوك البشري من اختيار مناطق الاستيطان مع معرفة الطرق المعيشية والأدوات التي استخدموها في حياتهم و إبراز النواحي المعمارية .

أما عن تسمية هذا الوادي بهذا الاسم نسبة إلى رجل يدعى يابس وليس لانعدام الزراعة فيه أما التسمية الحالية للوادي فهي وادي الريان .

أهم الفقرات التاريخية التي وجد فيها آثار استيطان في الوادي هي :-

١. العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري أ و ب
٢. العصر الحجري النحاسي (٣٧٥٠ – ٣٢٠٠ ق.م)
٣. العصور البرونزية (٣٢٠٠ – ١٢٠٠ ق.م)
٤. العصر الحديدي (١٢٠٠ – ٥٨٦ ق.م)
٥. العصر الفارسي والهلنستي (٥٣٩ – ٦٤ ق.م)
٦. العصر الروماني (٦٤ – ٣٣٣ ق.م)
٧. العصر البيزنطي (٣٣٣ – ٦٣٥ ق.م)
٨. العصور الإسلامية والحديثة (٦٣٥ وما بعدها)

وبعد الحرب العالمية الأولى هجر الموقع نتيجة لغزوات البدو على هذه المناطق فضلا عن سوء النظام الضريبي المتبع مما أدى إلى هجر السكان لأغلب المواقع التابعة لهذا الوادي .

اهم المواقع الاثرية المكتشفة هو موقع الراهب في عرجان وموقع عراق الدب وتل المقبرة وموقع كوركما . وعثر على مخلفات مادية تعود للفترات أعلاه.

اعتمد سكان هذه القرى على الزراعة بالدرجة الأساس بسبب كثرة سقوط الأمطار وتوفر العيون المائية مثل عين البيضا وعين التنور وغيرها من العيون المنتشرة في الوادي .

دفن سكان الوادي موتاهم تحت أرضيات البيوت في عصورهم المبكرة ومن ثم في مدافن خارج القرى و بأوضاع مختلفة وحسب ما كان معروفا في بلدان الشرق الأدنى القديم.

* قسم التاريخ – كلية التربية للبنات – جامعة بغداد.

المقدمة

تكمن أهمية الدراسة لوادي اليابس لغرض دراسة التغيرات والتعديلات البيئية والسكانية التي حدثت خلال العصور المختلفة ومعرفة الأدوار الحضارية التي مر بها الوادي وفهما لتحديدات والقيود البيئية والسياسية والاقتصادية التي يمكن ان تؤثر أو تحدد السلوك البشري من اختيار مناطق الاستيطان .

ولكشف الأهمية التاريخية للوادي لمختلف الفترات التي تم فيها استيطانه والمناطق التابعة له ودراسة أهم القطع الأثرية والأدوات التي استخدمها إنسان الوادي ومقارنتها مع بعض الأدوات الأخرى في مناطق مجاورة ولمعرفة الطرق المعيشية التي كانت سائدة آنذاك مع إبراز النواحي المعمارية للعمارة الدينية والمدنية في مناطق الوادي يوصف ان هذه المنطقة لم تأخذ نصيبها من الاهتمام على الرغم من أهمية هذا الوادي في تاريخ وحضارة الأردن .

وستركز الدراسة أيضا عن الأساليب التي اتبعها سكان الوادي في الزراعة ورعي الحيوانات وما هي مصادر معيشتهم و الأساليب التي جعلتهم يستقرون في الوادي أي أسباب نشوء المستوطنات والأسباب التي أدت إلى هجر الوادي وطرق التجارة ومع من كانت تجارتهم ودراسة العقائد الدينية المتبعة والعادات والتقاليد الاجتماعية خلال زمن استغلال الوادي .

الموقع:

يقع وادي اليابس شمال الأردن يمتد من جبال عجلون إلى نهر الأردن تبلغ مساحة الوادي (١٨٦ كم٢) ممتدة من منطقة هضاب الجولان إلى منطقة نهر الأردن حيث تلتقي مياهه في منطقة تل المجاجة[١] .

يعد وادي اليابس من روافد نهر الأردن مثله كمثل الأودية والأنهر كنهر العرب – وادي زقلاب وادي كفرنجة التي تغذي نهر الأردن بالمياه حيث تجري مياه نهر الأردن مسافة (١٦٠ كم) من بحيرة طبريا والبحر الميت تغذيه تلك الروافد من الجانب الأيسر أما من الجانب الآخر فيغذيه رافد نهر اليرموك[٢].

أما ارتفاع وادي اليابس فيبلغ أعلى ارتفاع له حوالي (١٢٠٠ م) فوق مستوى سطح البحر في حين يكون اقل انخفاض له في منطقة نهر الأردن وتصل إلى (٣٠٠ م) تحت مستوى سطح البحر ويتراوح معدل سقوط الأمطار في المناطق المرتفعة حوالي (٦٠٠ ملم) وفي المناطق المنخفضة حوالي (٣٠٠ ملم)[٣] .

ينتشر على سفوح الوادي الغابات والأشجار المثمرة ففي المناطق المرتفعة توجد أشجار البلوط وغابات الفستق والصنوبر وكذلك الزيتون ، أما المناطق المنخفضة فيزرع الموز وكذلك تشتهر بزراعة القمح والشعير والذرة والتربة هي غنية بالمواد العضوية التي تتجزء من تربة ساحل البحر الأبيض المتوسط إلا إن انحداراتها تعرض التربة الانجراف[٤] .

أما عن تسمية وادي اليابس بهذا الاسم فانه سمي نسبة إلى رجل اسمه يابس وليس لانعدام الزراعة فيه[٥] . علما أن أهالي المناطق المجاورة يطلقون عليه تسمية حديثة متداولة حاليا بين الناس وهي (وادي الريان) وقد أكد لي اكثر من شخص وفي مناطق متفرقة من الوادي ان سبب التسمية هو أن الأمير عبد الله قد زار المنطقة ورأى خضرة الأشجار فيه وكذلك المنطقة المحيطة به فأطلق عليه هذه التسمية بدلا من التسمية السابقة وكان ذلك تقريبا في عام ١٩٣٠م .

ويعتقد ان وادي اليابس قد ورد ذكره في التوراة (يابيش جلعاد) ونهر اليابس ورد باسم (ناهال جابيش)[٦] .

تاريخ البحث الاثري في وادي اليابس

اجريت العديد من البحوث والدراسات والمسوحات الأثارية لوداي اليابس الغرض منها الكشف عن المخلفات المادية والبقايا الأثرية وعن نشاطات الإنسان في مختلف العصور ودراستها ومن أهم هؤلاء نيلسون جلوك عام ١٩٥١ م قام بمسوحات أثرية للوادي وذكر انه هناك مواقع عديدة وكثيرة من حقول(dolmens) قدر عددها بالمئات ، وأيضا قام الباحث الألماني ميتمان عام ١٩٧٠م بالبحث والدراسة للوادي وكذلك الدكتور خير ياسين من الأردن عام ١٩٨٥م .

وكانت هناك بعثات مشتركة بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية وبعثات أجنبية منها بعثة جامعة هارفارد عام ١٩٨٨ – ١٩٩١ برئاسة جايتانو بالومبو وجوناثان ما برى وايان للأعوام ١٩٨٨ – ١٩٨٩ م ثم ايان للعام ١٩٩١ وبعثة مشتركة بتمويل من وزارة الخارجية الإيطالية ومجلس البحث الوطني الإيطالي لعام ١٩٩٢ ومن خلال الدراسات والمسوحات الآثارية هذه تبين ان الموقع قد مر بأدوار حضارية عديدة وهي :-

أولا :- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري أ و ب

Pre Pottery Neolithic A and B

وجدت اثار بقايا متحجرة في موقع عراق الدب في وادي اليابس وكما سيأتي شرحها بالتفصيل تتألف من أدوات صوانية وقطع بازلتية مختلفة الأشكال والأحجام وكذلك العثور على نوع من الخرز الصدفي (shell bead) وخرز عظمي (bone bead) وجد ما يشابهها في عين

الملاحة[٨] . علما ان هذه الأدوات تعود إلى فترة (١٠٥٠٠ – ٦٥٠٠ ق م) .

ثانيا :- العصر النحاسي

B.C Chalcolithic Age (3750 – 3200)

وجد استيطان بشري في وادي اليابس وخاصة في المناطق المنخفضة ، وفي عام ١٩٨٩ م تم اكتشاف سكن في المناطق المرتفعة قرب تل المقلوب حيث وجدت أدوات حجرية وعظمية وكما سيأتي الكلام عنه لاحقا ، وأصبحت القرى اكثر اتساعا وأوسع انتشارا منه في السابق[٩] . بيوت هذه الفترة أصبحت مستطيلة الشكل بنيت جدرانها من الطين والسقوف والأعمدة الخشبية مغطاة بالطين .

ثالثا :- العصور البرونزية

(ronze Age 3200 – 1200) B.C

وجد في وادي اليابس وخصوصا في تل المقبرة أثار تعود إلى الأدوار الثلاثة للعصر البرونزي بعض من هذه الأدوات كانت زراعية وأدوات طحن ورحى حجرية وجدت في المناطق العالية والتي كانت تعتمد في زراعتها على الأمطار[١٠]، إلا إن هذه المنطقة هجرت بسبب الحرب بين الدولة الحيثية والمصرية[١١] . ولم تكن هناك مستوطنات سوى في قمم جبل عجلون.

رابعا :- العصر الحديدي

Iron Age (1200 – 586) B.C

عثر على عدد من الكسر الفخارية في أرجاء هذا الوادي تعود إلى العصر الحديدي وجدت في تل المقبرة[١٢] .

خامسا :- العصر الفارسي والهلنستي

Bersian and Hellensitic Age (539–64) B.C

نقص وقل عدد المستوطنات ما بين القرنين السادس والأول قبل الميلاد ولم تنشأ أي مستوطنة جديدة هناك والسبب هو سوء الأحوال السياسية خلال هذه الفترة وهجرة الناس إلى المناطق الآمنة .

سادسا :- العصر الروماني

Roman Age (64 B.C – 333 A.d)

في بداية هذا العصر توسعت المناطق الريفية بصورة كبيرة في منطقة وادي اليابس بالمستوطنات والقرى وبنى الرومان قراهم فوق المرتفعات العالية قرب بيلا وعجلون وجرش وأدى قطع الأشجار إلى تعرية الأرض وأصبحت غير صالحة للزراعة مما أدى بالتالي إلى هجر بعض القرى الزراعية في نهاية هذا العصر[١٣] .

سابعا :- العصر البيزنطي

Byzantine Age (333 A.d – 635 A.d)

ازدادت نسبة السكان والمستوطنات الريفية في هذه المنطقة ووصلت ذروتها والمناطق المفتوحة على جبال عجلون تميزت بحقولها الزراعية وأكثر الأبنية والكنائس المعزولة على القمم والمحاطة بالحقول الزراعية وأصبح هناك تبادل منفعة بين المجتمعات الريفية والحضرية[١٤] .

ثامنا :- العصور الإسلامية

Islamic and Modern Age (635 A.d)

فتح الأردن من قبل الجيوش الإسلامية بين سنتي ٦٣٠ – ٦٤٠ م حيث اشتغل العرب المسلمين بتثبيت دعائم الدين الإسلامي ، فخلال الحكم الإسلامي المبكر هجرت المناطق الريفية وتركت الحقول الزراعية وأصبحت هذه الحقول عرضة للتعرية التي هدمت الكثير من المواقع .

وعند تولي الأمويين الحكم ٦٦١ م وأصبحت دمشق عاصمة للدولة الإسلامية اهتم خلفاء بني أمية بالأردن اهتماما خاصا[١٥] . لهذا انتشرت القصور الأموية كقصير عمرة وغيرها من القصور الإسلامية وكذلك انتشرت القرى الزراعية وانتعشت في وادي اليابس وتميزت العمارة الإسلامية بإدخال عمارة جديدة لها وهي عمارة المساجد[١٦] والتي أصبحت من مميزات العمارة الإسلامية .

وعند انتقال الخلافة إلى العباسيين ٧٥٠ – ١٢٧٨ م أصبحت بعض مناطق وادي اليابس مهجورة لانتقال الخلافة الإسلامية والعاصمة من دمشق إلى بغداد لم تكن هذه المنطقة سوى طريقا للتجارة الرئيسية .

ازداد الاستيطان في منطقة وادي يابس بعد معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي الذي دحر الصليبيين عام ١١٨٧ م وانتعشت الأردن ومنطقة وادي اليابس لأنها أصبحت حلقة الوصل ما بين سوريا ومصر وان القوافل التجارية بين هاتين الدولتين كانت تمر بالمنطقة مما أدى إلى ازدياد عدد سكانه وانتشار حقولها[١٧] .

أما في حكم المماليك (١٤٠١ – ١٥١٦م) عمت الفوضى في المنطقة وانتشرت الأمراض وخاصة الطاعون مما أدت هذه الأسباب إلى هجر المناطق الريفية والانتقال إلى المناطق الرئيسية .

وفي عام ١٥١٦ م هزم المماليك أمام القوات العثمانية في معركة مرج دابق وأصبح

الأردن جزء من الدولة العثمانية واستمر كذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨ م ونتيجة لغزوات البدو على هذه المنطقة وسوء النظام الضريبي المتبع أدى إلى هجر اغلب المناطق التابعة لوادي اليابس في حين بقيت القرى محافظة على سكانها وحقولها .

أهم المواقع الأثرية في وادي اليابس :-

أولا :- موقع الراهب :- AL - RAHEB

يقع إلى الشمال الغربي من عجلون وعلى بعد ١٧ كم وإلى الغرب من قرية عرجان عبر طريق ضيق يربط القرية بوادي عرجان ومن خلالهما يمكن الصعود إلى هذا الموقع الذي يتراوح ارتفاعه عن مستوى سطح البحر حوالي (٥٣٠ – ٥٥٠م) أما مساحة الموقع فتبلغ (٥– ٦ هكتار) .

اكتشف الموقع خلال التنقيبات في وادي اليابس عام ١٩٩١ وهو موقع استيطاني مميز متوسط الحجم وقد قسم الموقع على قسمين هما A,B[١٨] ، في الموقع A وجدت على السطح قطع وأدوات حجرية فضلا عن بعض القطع الفخارية وان هذه الأدوات قد تبين أنها تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري PPNB إلا إن هذه الأدوات لا تعود إلى نفس الموقع الذي وجدت فيه وان وجودها كان بسبب أعمال الحراثة أو بسبب الانجراف في التربة لأنه لم يعثر على دلائل تشير إلى استقرار بشري في الموقع .

أما الموقع B الذي اختير جنوب الموقع A فأنه عثر على كسر فخارية تعود للفترة البيزنطية وكسر صوانية وجدت تحت طبقة من التراب سمكها حوالي (٤٠ – ٥٠سم)[١٩] ، قد عثر على جدار من الحجارة أساساته من الحجارة الكبيرة وفوقها حجارة صغيرة وسدت الثغرات بواسطة حجارة اصغر وعرض الجدار تقريبا (٦٠ سم) واكتشاف طبقة من الملاط (Plaster) تكسو الجدران الأرضية سمك هذه الطبقة (٢ سم) فضلا عن وجود بعض الكسر مطلية باللون الأسود والأحمر المواد المستخدمة في البناء هي من نفس المنطقة تعود لنفس الفترة أعلاه[٢٠] ، البيوت في هذه الفترة كانت دائرية أو بيضوية الشكل والأرضيات كانت من الطين المرصوص وفي هذه الأرضيات وجدت حفر أما أنها كانت تستخدم لتثبيت السقف أو أنها كانت تستخدم للخزن علما إن الناس في هذه الفترة كانوا يدفنون موتاهم تحت أرضيات البيت[٢١] ، وليس بالضرورة أن تكون هذه الحفر للغرض أعلاه وربما تكون حفرا استخدمت لغرض خزن الغذاء الرئيسي من اجل الحفاظ عليه من هجمات الحشرات أو العفن أو الرطوبة[٢٢] ، أو إنها استخدمت كمواقد في حالة وجود أثار حرق أو رماد فيها[٢٣] .

في أريحا وخلال تلك الفترة فأن شكل البيوت كان مستديرا أو منحني الأضلاع وان جدرانها كان فيها ميلان إلى الداخل وهذا يشير إلى إن سقوفها كانت مقببة[٢٤] ، في حين انه في حسونة شمال بلاد الرافدين كانت جدران البيوت تشيد بالطوب وترصف الأرضية بخليط من الطين والقش وجذور النباتات لغرض تقويتها والحبوب كانت تخزن في أوان كبيرة مصنوعة من الطين تدفن في الأرض حتى حافتها العليا[٢٥] ، علما أن لهذه البيوت مدخل ينحدر إلى الداخل بواسطة درجات وان الجدران كانت عريضة نسبيا تتخللها حزم من القصب أو أغصان الأشجار لتقويتها .

أما في سوريا فأهم موقع يعود إلى هذه الفترة هو موقع العمق حيث وجدت بقايا أثار معمارية عبارة عن بقايا (اللايمستون)[٢٦] . وفي لبنان فهناك موقع بيبلوس المنازل فيه كانت مستطيلة الشكل ذات أسس حجرية والأرضيات طليت بالملاط وعثر على أثار مواقد[٢٧] ، وفي مصر أهم موقع يعود للعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار B هو موقع قرب حلوان يدعى العوماري الذي يقع بنحو ٧ كم من ضفة النيل الشرقية[٢٨] ، وان شكل البيوت دائري والسقوف تستند على أعمدة خشبية .

ثانيا :- موقع عراق الدب :

IRAQ AL - DUBB

يقع موقع عراق الدب في منطقة وادي اليابس إلى الشمال الغربي من عجلون على ١٧ كم حيث أن هذا الموقع جزء من جبال عجلون التي تمتد من جنوب نهر اليرموك إلى منطقة وادي الزرقاء الذي يفصل عجلون عن جلعاد (البلقاء الحالية) [٢٩] .

تم اكتشاف الموقع من قبل بعثة المسح الإيطالية بإشراف جايتانو بالومبو وجوناثان مابري عام ١٩٨٩ وتم التنقيب فيه عام ١٩٩٠ م تم العثور على عدد كبير من الأدوات والآلات التي تعود إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار A (PPNA)[٣٠] وحيث تنتشر على ضفاف الوادي مواقع أثرية أخرى كانت سكنا للإنسان عبر العصور فإلى الغرب من عراق الدب هناك مواقع تعرف عند أهل المنطقة باسم عراق المعلقة والعراق الوسطاني والغربي علما أن كلمة عراق تعني الكهف أو المغارة .

في هذا الموقع وجد جدار مبني من الحجارة الغير منتظمة الشكل والبناء خالي من الأساسات حيث استعمل الصخر والجدار كان على شكل بيضوي والأرضيات كانت مصقولة بالطين فضلا عن وجود حفر في الأرضيات كانت تستخدم لغرض تثبيت دعامات السقف وعثر أيضا

على بعض القطع من البازلت وكسر من القصب مطلية بالطين[٣١] .

ووجدت قبور تحت أرضيات الغرف حيث وجدت بعض الهياكل بدون جماجم وبعض الجماجم كانت مطلية بالجص وهي مشابهة لأسلوب الدفن في أريحا[٣٢] .

علما إن المدافن قد تكون ضمن المحيط العام للقرية أو ملاصقة للبيوت وان هناك بعض القرى كانت تتبع طرق معينة عند دفن موتاهم كان يوضع الرجال على الجانب الأيسر من الجسم والنساء عكس ذلك وفي الحالتين التوجه يكون نحو الشرق وتوضع اليد تحت الرأس ويتم ختم الفم بالشمع ويتم لف الجسم بالقماش وكانت توضع مع الشخص المدفون البذور والسمسم وتوضع أيضا بالقبر جميع الأدوات التي كان يستخدمها هذا الشخص في حياته[٣٣] .

وكان الإنسان في هذا الموقع يعتمد في زراعته على القمح والشعير الذي كان غذائه الرئيسي وانه اصطاد الحيوانات فاستفاد من لحومها كغذاء له واستفاد من صوفها وفراءها الذي استخدمه لباسا له واستخدم أدواته من الصوان التي صنع منها سلاحا للدفاع عن نفسه من هجمات الحيوانات المفترسة واستخدم الخزف والأصداف للزينة[٣٤] .

ثالثا :- تل المقبرة (Tell El meqbereh)

يقع تل المقبرة إلى الشمال من نهر اليابس على بعد ٨٠٠ م عن وادي اليابس وعلى بعد ٤ كم شرق نهر الأردن وعلى ارتفاع ٢٠٠ م تحت مستوى سطح البحر . وسبب تسميته بتل المقبرة (التي تعني المقبرة بالعربية) فأن الباحث السويدي فيشر (Peter m . Fisher) يقول ربما يكون هذا الموقع خلال الفترات الماضية مقبرة لتل أبو الخرز (Abu AL Kharaz) الذي يبعد ٣٠٠ م شرق المقبرة في موقع خصب على قمة تل عالية[٣٥] إن عملية المسح الأثاري لهذه المنطقة كانت في الشهر السادس من عام ١٩٩٢ من البعثة الإيطالية بالتعاون مع دائرة الآثار الأردنية حيث تم جمع البقايا الأثرية في هذه المنطقة خلال الأعوام ١٩٨٧ – ١٩٩٢ وعثر على كسر لجرار وهذه الكسر تشير إلى إن الموقع قد تم استيطانه خلال العصور الحجرية القديمة خاصة العصر الحجري النحاسي والعصور البيزنطية والعصر الحديدي والعصر الروماني وأخيرا الفترة البيزنطية . هذا وقد تم اختيار موقعين للتنقيب فيهما حيث تم اختيار إحداهما في ما يسمى (A) والأخر في الجنوب سمي (B) فبعد أن تم الشروع بالتنقيب في الموقع الأول فأنه عثر على أسس لجدران صخرية وطينية للمنازل وحفر وخنادق وبقايا حفر كانت مخصصة للأعمدة وهي تعود إلى العصر الحديدي الأول .

أما في الموقع (B) فبعد الشروع بالحفر فأنه تم الوصول إلى عمق ١.٥ م حيث تم الكشف عن جدار حجري وجدت بالقرب منه بقايا كسر فخارية وبعد فحصها تبين إنها تعود إلى العصر الحديدي الثاني والاكتشاف المهم الذي عثر عليه في هذا الموقع هي علبة مجوهرات من الحديد وكذلك جرة مزخرفة إحدى أيديها قد أتلفت وهي تعود إلى الأدوار الأولى من العصر الحديدي الأول[٣٧] . هذه الكسر الفخارية كانت ملونة باللون الأحمر عليها خطوط متموجة وأفقية وجد ما يشابهها في فلسطين في حاز ور ومجدو وفي الأردن في سحاب ودير علا[٣٨] . فضلا عن العديد من الأدوات الحجرية و آلات مصنوعة من مواد ثمينة ومن بين تلك الأدوات وجد سيف وقطع مصنوعة من البازلت ومغازل خزفية ومثاقب وخنزير عاجي وكذلك قلادة حجرية ودبوس برونزي وعدد من العظام التي تعود إلى حيوانات مد جنة مثل الخروف والماعز وبعض الحبوب من الحنطة والشعير[٣٩] .

رابعا :- موقع كوركما (Kurkuma)

يقع هذا الموقع في أعلى غور الأردن ، بدأ المسح في هذه المنطقة عام ١٩٨٧ حيث عثر خلال هذه المسوحات على عدد من الكسر الفخارية المنتشرة على سطح الموقع وكانت لهذه البقايا أهمية كبيرة في تحديد الفترات المتعاقبة للاستيطان في الموقع مثل الفترة الرومانية والبيزنطية والعباسية والفاطمية والمماليك والعثمانية[٤٠] .

ثم بدأت دائرة الآثار الأردنية بالتنقيب في الموقع وتبين إن المنطقة تعتمد على الزراعة بالدرجة الأولى ولاسيما القمح والشعير وان الناس كانوا يستوطنون في الجزء الأسفل من الوادي أي قرب حقولهم[٤١] ، حيث توجد هناك عين للماء تدعى الزقازيق .

أما حاليا فالمنطقة مهجورة وانتقل الناس إلى أماكن قريبة من المناطق الكبيرة وتركوا بذلك القرى الصغيرة على الرغم من أهمية المكان بالنسبة للزراعة والسبب هو تطور وسائل النقل حيث أصبح بالإمكان الوصول إلى المنطقة بواسطة السيارات مما جعل أهل المنطقة الذين كانت بيوتهم قرب حقولهم أن يسكنوا بعيدا عنها ويمكنهم الوصول إلى الحقل في أي وقت .

وقد درست بعض المنازل في هذه القرية ووجدت إن القرية لا تحتوي على نموذج مخالف مع القرى الأخرى فالبيت مبني من الحجارة الكلسية والطين المصقول وكانت الجدران من

الداخل تصقل من الطين واستخدمت الأعمدة الخشبية لتثبيت سقف البيت .

الزراعة في وادي اليابس

يعتمد وادي اليابس في زراعته على سقوط الأمطار التي تبدأ من شهر تشرين الثاني إلى نهاية نيسان من كل عام وأحيانا تتساقط الثلوج على مرتفعاته العالية التي يزيد ارتفاعها عن ٨٠٠ م . وان تساقط الأمطار يختلف من منطقة إلى أخرى ، فالمناطق العالية تكمن كمية الأمطار فيها عالية تصل إلى ٦٠٠ ملم أما المناطق المنخفضة فتقل إلى ٣٠٠ ملم علماً انه توجد في هذا الوادي عيون تغذيه بالمياه من هذه العيون عين البيضا في منطقة عرجان وعين التنور ونبعة فالح ونبعة رافع وغيرها من العيون المنتشرة في المنطقة[٤٢] .

سكان الوادي في بادي الأمر كانوا رعاة يعتمدون بالدرجة الأساسية على حيواناتهم التي منه غذائهم ولباسهم أو لغرض المتاجرة بها مع المناطق المجاورة بمواد أخرى بديلة يحتاجونها . سكان المرتفعات يزرعون الأشجار المثمرة على سفوح الجبال وأشجار اللوزيات وفي الأودية يزرعون التين والرمان وأحسن الأمثلة على ذلك مدينة عرجان . أما في المناطق التي تنخفض عن مستوى سطح البحر (الغور) فإن الزراعة تعتمد على الري وتعتبر من المناطق الغنية بموادها الاقتصادية كون تربتها غنية بالمواد العضوية .

لذلك نلاحظ التقارب الكبير بين ما كان سائدا في العصور القديمة وما يتبع حاليا من قبل مستوطني وادي اليابس على الرغم من الفارق الزمني الكبير الذي يقدر بآلاف السنين .

تعد النباتات و الأسماك أكثر أمانا ومصادر ذات مخاطر قليلة في حين أن الصيد يعتبر خطرا على الإنسان مع عائدية قليلة وكذلك فأن جماعات الصيد تفضل الطعام سهل الجمع والمتنوع ومع هذا فان الصيد يبدو أكثر أهمية[٤٣]، إن إنتاج الغذاء أكثر من متطلبات وحاجة المزارعين أنفسهم خلال فترة (٧٠٠٠ – ٥٠٠٠ ق.م) أدى إلى ظهور التبادل مع المناطق المجاورة . أما في الألف الخامس ق.م فأنه قد توسع الاستيطان نحو الأراضي المرتفعة وهكذا تجمع الناس إلى مجموعات أكبر ومواقع أكثر أمانا واستقرارا[٤٤] . وان هذه المواقع أصبحت ذات علاقات وطيدة مع بعضها البعض وأصبحت هناك قرى ومدن تربطهم مصالح مشتركة حيث يتواجد فيه مجتمع سكاني لا زراعي يكون مهتما بالدفاع والإدارة والدين والتجارة والصناعة[٤٥] .

إن المدن المبكرة في الإلف الثالث ق.م يمكن وصفها بشكل كامل من خلال استخدام نموذج مشتق من المدن في بلاد الرافدين حيث أن مركز المدينة كان في منطقة محاطة بجدران ذات أبراج لم تكن فقط لأغراض الدفاع ولكن غرضها الأخر هو إظهار ثروة وقوة المجتمع المدني الحاكم فضلا عن إعطاء تعريف طقسي للمجتمع[٤٦] . وان هذه المناطق كانت تضم الدور السكنية فضلا عن الأسواق أي أن أصحاب الفوذ كانوا يسكنون في المركز في حين إن أصحاب الدخل المحدود يسكنوا في المناطق القريبة من الأسوار وان أسلوب تقسيم مناطق السكن على حارات كان معروفا منذ العصور القديمة واستمر كذلك خلال مختلف العصور حتى وقتنا الحاضر .

عادات الدفن

إن عادات الدفن تقريبا متشابهة في العديد من مناطق الشرق الأدنى القديم . إذ كان الشخص المتوفى يدفن داخل أرضية البيت حيث كان الأقدمون في العصور الحجرية القديمة يدفنوا موتاهم داخل حفرة داخل مصطبة البيت يوضع الميت بشكل قرفصائي أو على جنبه الأيمن أو الأيسر . قد تكون المدافن ملاصقة للبيوت أو ضمن المحيط العام للقرية . ففي العصر الحديدي وفي بريطانيا تحديدا كان الرجال يدفنون ويوضعون على جانبهم الأيسر والنساء على الجانب الأيمن والتوجه يكون نحو الشرق[٤٧] .

وقد وجد في البسطة في الأردن من نهاية الألف السابع ق.م شخص مدفون ملقى على وجهه بوضع قرفصائي وكان الجسد لا يزال يحتفظ بالجمجمة[٤٨] . وكان يوضع مع الشخص المتوفى أوان فخارية ومعدنية وحجرية ، فبعض القبور كانت عبارة عن حفرة مربعة يبلغ طولها بين ١.٠ – ٢.٥ م متصلة بحجرة أو أكثر والحجرة الثانية إما مربعة أو مستديرة ولها سقف فوقه قبة[٤٩] .

أما في العصر البرونزي المتأخر فظهرت طريقة لف المتوفى بالقماش ومن ثم طليه بالقار[٥٠] ووجد ما يشابه هذه الطريقة في بريطانيا أيضا إن المتوفى يلف بالقماش وكان يوضع مع الشخص المتوفى البذور والسمسم والأدوات التي استخدمها في حياته[٥١] .

مصادر البحث

١. القضاة ، احمد مصطفى ، صفحات من جبل عجلون ، عمان ، ١٩٨٣ : ١٩.
٢. تقرير غير منشور : دائرة الآثار الأردنية (حفريات وادي اليابس من ١٥ / ٦ / ١٩٩٢ – ٣٠ / ٧ / ١٩٩٢)
3. Palumbo , G and at all (The Wadi el yabis survey and Annual of the Department Excavations Project : Report on the of Antiquities of Jordan 1992

season Amman xxxv11 (1993 PP 307 – 221)
٤. أرحيل ، حابس سليمان الجغرافية السياحية في الأردن ج١ رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الأسكندرية ١٩٨١ : ٥٥.
٥. القضاة ، المصدر السابق : ٢٠ .
٦. الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول ، الإصحاح الحادي عشر ، ٤٤٢ .
الكتاب المقدس ، سفر صموئيل ، الإصحاح الحادي والثلاثون ، ٤٨١ .
الكتاب المقدس ، سفر صموئيل ، الثاني الإصحاح الثاني ، ٤٨٤ .
الكتاب المقدس ، سفر صموئيل ، الثاني الإصحاح الحادي والعشرون ، ٥٢١ .
7. Palumbo , op . cit 1994 : 310 .
٨. الناضوري ، رشيد ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، بيروت ، ١٩٧٥ : ٣٨ .
٩. كفافي ، زيدان الأردن في العصور الحجرية / سلسلة كتاب إلام في تاريخ الأردن عمان منشورات آل البيت ١٩٩٠ : ١٧٠ .
10. Palumbo op . cit 1992 : 68 .
١١. لمزيد من التفاصيل انظر طه باقر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج٢ بغداد ط٢ المنقحة شركة التجارة للطباعة المحدودة : ٦٨ .
12. Palumbo op . cit 1992 : 7 .
13. Palumbo op . cit 1992 : 6 .
١٤. ١٤. أرحيل ، المصدر السابق : ٥٤ .
١٥. ١٥. أرحيل : المصدر السابق : ٥٥ .
16. Wagstaff , J , M ; The Origin and Evalution of Towns : 4000 B.C to AD 1900 .
The changing Middle Eastern city . Newyork , 1990 , p. 15-13 .
١٧. أرحيل ، المصدر السابق : ٥٥ .
18. Palumbo , op . cit , p. 311 .
19. Ibid p. 312 .
20. Ibid , p. 313 .
٢١. كفافي ، المصدر السابق : ١٣٦ .
22. Hodder , Ion ; The present Post . An Introduction to Anthropology for Archaeologist , London 1982, 140 .
٢٣. أبو طالب ، محمود ، آثار الأردن وفلسطين في العصور الحجرية ، عمان ، ١٩٧٨ ، صـ٤٥ .
٢٤. المصدر نفسه ، صـ٤٢ .
٢٥. رو ، جورج ، العراق القديم ، ترجمة وتعليق حسين علوان حسين مراجعة د. فاضل عبد الواحد ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص١٨٦.
٢٦. الناضوري ، المصدر السابق ، صـ٥٧ .
٢٧. المصدر نفسه .
٢٨. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ٢ ،ط٢ ١٩٥٦ ، بغداد ، صـ٢٢ .
٢٩. الصياد ، محمد محمود ، معالم جغرافية الوطن العربي مج١ بيروت ، ١٩٧٠ ، صـ١٢٢ .
30. Palumbo , op . cit , p.68 .
٣١. تقرير غير منشور ، دائرة الآثار العامة الأردنية ١٩٩١ : ٥ .
٣٢. المصدر نفسه .
33. Hodder , op . cit , p. 141 .
34. Ibid , p. 142 .
35. Palumbo , op . cit , p. 307 .
36. Hodder , op . cit , p. 110 .
37. Palumbo , op . cit , p. 310 .
٣٨. ابراهيم ، معاوية : فلسطين من اقدم العصور حتى القرن الرابع قبل الميلاد . الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، دراسات خاصة (ست مجلدات) المجلد الثاني ، الدراسات التاريخية ط١ وتحرير انيس الصايغ ، بيروت منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٩٠ :(١٠٩-١١٢).
٣٩. تقرير غير منشور : دائرة الاثار الاردنية العامة ، عمان ١٩٩٢ : ٩ .
٤٠. تقرير غير منشور : دائرة الاثار الاردنية العامة ، عمان ١٩٩٣ : ١٣ .
41. Palumbo, op.cit:317
٤٢. نسكايا ، ايرينا سميليا ، البنى الاقتصادية والاجتماعية في المشرق العربي على مشارف العصر الحديث ، ترجمة يوسف عطا الله ، دار الفارابي ، ١٩٨٩ ، ص٩٦.
43. Hodder , op.cit, p.20
44. Ibid , p.95
45. Wagstaff.J.M The origin and Evolution of Tomns : 4000 B.C tp 1900 AD . The changing Middle Eastern city by C.H Blake And lawleo , NewYork.
46. Hodder , op.cit : 12.
47. Ibid.
٤٨. كفافي ، زيدان ، المصدر السابق :١٤٢.
٤٩. ياسين ، خير نمر : جنوبي بلاد الشام تأريخه وأثاره في العصور البرونزية ، سلسلة كتاب الام في تاريخ الاردن عمان / منشورات ال البيت : ٦٢ .

٥٠. المصدر نفسه :٢٠٢ . علما ان اهم مصدر للقار كان في بلاد الرافدين لا سيما مدينة هيت عن هذه المدينة ينظر : الاعظمي ، محمد طه ، هيت في المصادر المسمارية ، هيث في التراث العربي ، منشورات مركز احياء التراث العربي العلمي بغداد ،٢٠٠١ ص١٠٧-١١٣ .

51. Hodder ,op.cit , p.141

The Archaeological Surveying in Wadi Al – yabis in Jordan ((Athnoarchology study))

Dr. Khadim Abid-Allah
History Dept. – the College of Education for Women
Baghdad University

Abstract:

Wadi AL – yabis situated to the north jorden , its extended from Aglon mountain to the jorden river , the surveying of this valley about 186 KM , and the highest point in it about 1200 m upon the sea level , the lower point ther under the sea level . This study lay to appear the historical important and to study the variation of environment and population which happened in the different periods , in the beginning the Paleolithic until the later period , and to understand the environment , political and economical circumstances , which it can to influenced or limited in human behavior from choosing , the settlement sits and than (we could) knowledge of living ways and the tools which they used in there living and show the architectural ways.

About the name of this valley which nominated in this name which related to some one his name (yabis) and this name didn't refer to disappeared the plantations in it , and it is recently name of this valley is AL – Rayan valley .

The important historical period which found some settlement relics in this valley a

1. pre pottery Neolithic A and B
2. chalcolithic (3750 – 3200 B.C)
3. Bronza Age (3200 – 1200 B.C)
4. Iron Age (1200 – 586 B.C)
5. Bersian and Hellenistic Age (539 – 64 B.C)
6. Roman Age (64 B.C – 333 A.D)
7. Byzantine Age (333 – 635 A.D)
8. Islamic and Modern Ages (635 A.D)

After the first war world , (this valley) abandoned because nomadic attic upon this sites , in addition abandoned almost of that sites which in this valley .

The most important sites which excavated there are AL – Raheb site in Arjan , Iraq AL – Dubb site , Tell EL – Meqbereh and Kurkuma site , they are found in it some material relics which go back to that period above .

The population of these villages depended upon the plantations (essentially) because much heavy rain and well available like Ean – AL – bedha , Ean – AL – tanor and others scatter in the valley .

The population of this valley buried there dead under the house floors in earlier periods and than in the cemetery out site , the villages in different situations according to what known in the Near Eastern countries .